ان دولة اسرائيل كانت تحمل في مبداها كل المظالم وكل الجرائم التي نشهدها اليوم . لم يكن من الممكن ان تنشأ دون ان ترتكبها ولا ان تعيش دون ان تعيد ارتكابها ولا ان تنمو دون أن ترتكب جرائم جديدة غيرها . **يجب ادانة دولة اسرائيل في مبداها وفي فكرتها ذاتها والا فسنكون شهودا ومتواطئين في عملية هدم وابادة العالم العربي — او الفلسطيني على الاقل » .**

ان كل تبرير لقيام دولة اسرائيل عن طريق اللجوء الى نصوص مستقاة من التوراة عملية يمكن ان تؤدي الى نتائج خطيرة وكوارث رهيبة تصيب الشعب اليهودي نفسه بالدرجة الاولى،والانسانية جمعاء بالدرجة الثانية . ان نفس النص التوراتي يسمح للصهيونية السياسية بامتلاك فلسطين من قبل اليهود وباغتصاب وابادة وذبح سكانها : (العدد : ٣٥ ، ٣٦) .

ان ليفين يرى ان تفسيرات مثل كلام مونتارون ، وهي تفسيرات حرفية وتبسيطية ومخالفة لكل التقاليد الدينية اليهودية ، تتيح للصهاينة كما للنازيين ارتكاب مجازرهم . ولماذا الصهاينة ايضا. أية علاقة لهم بمثل هذا التصرف ؟ وهنا يجيب ليفين : « ان التوراة تتحدث عن ابادة الشعب اليهودي في حالة العصيان والتمرد . والنازيون ، بلجوئهم الى تأويل التوراة تأويلا تبسيطيا وسطحيا، بامكانهم أن يبرروا كل فظائعهم في اشويتز وتربلينكا : انهم ينفذون ارادة الله الذي يعاقب شعبه على خيانته ، لقد قلت هذا وكتبته وسأظل أردده الى ما لا نهاية : ليست القنبلة الذرية هي التي ستودي بالانسانية الى حتفها وانما القراءة الخاطئة والتأويل التبسيطي السطحي لكلام الله.»

دولة اسرائيل ، ارادة الهية أم جهنمية ؟ بعد عملية التعرية الشاملة لحقيقة الدولة الاسرائيلية ولابعاد الفكر الصهيوني الذي يؤمن لها غطاء سياسيا ودينيا كثيفا وسموها ، يتابع زعيم هذه المنظمة حملته عليها فيركزها على ناحية معينة من الدعاية الصهيونية التي تحاول ان تدخل في روع اليهود ان « ولادة دولة يهودية هو علامة ذات أهمية غير عادية وهي تعطي لعصرنا بعدا توراتيا حقيقيا او انها علامة من الله . » ويتلخص رد امانويل ليفين على هذه الفكرة الخاطئة والمضللة كما يلي : ان علامة من الله تعني في التقليد التوراتي واليهودي معجزة ، عجيبة ، تدخلا خارقا للطبيعة كما حدث مثلا عند خروج الشعب اليهودي من مصر . وليست هذه هي الحال مع دولة اسرائيل ، التي انشئت بوسائل انسانية بحتة كغيرها من الدول : بالمال والديبلوماسية والعنف. والخلاص ، لا يمكن أن يأتي ، حسب ما جاء في التوراة ، « لا عن طريق القوس ولا السيف ولا المعارك ولا الاحصنة ولا الفرسان » . ان خلاص الشعب اليهودي الكامن في العودة الى صهيون هو حدث خارق العادة وملكوتي ولا يمكن ان يتحقق بوسائل دنيوية ولا يمكن أن يكون حدثا طبيعيا وتاريخيا : « العودة الى صهيون تتم في نهاية الزمان ، في نهاية التاريخ ، في نهاية هذا العالم » ولا يمكننا ان نكون فكرة عن هذه العودة الا اذا وضعنا انفسنا في « العالم الاخر ، العالم السماوي الروحي ، عالم ملكوت الله حيث لا يعود للقيم والتعابير التالية : مملكة قيصر — دولة — وطن — حدود — أرض — استقلال — سيادة وطنية الخ .. — أي معنى واي قيمة واي دلالة » . ولو طبقنا هذا التحديد على الواقع الاسرائيلي فماذا نرى ؟ . نرى أن دولة اسرائيل هي من « هذا العالم » وهذا كان ، على كل حال هدف مؤسسيها وبناتها : توطين الشعب اليهودي وجعله امة كسائر الامم . اما الصفة الدينية فلم تلصق بها ، عن خطأ ، الا لاحقا . ان الحركة الصهيونية هي ، كما يقول ليون تولستوي ، « أوروبية بعظمها وشحمها ولحمها » وقد ظنت هذه الحركة «ان قوة أوروبا تكمن في تكوينها ، اي في قوة مدافعها مع كل فظائع النزعة العسكرية التي ترافقها ، فقررت ان تلبس شيوخها ثيابا عسكرية وتضع في أيديهم البنادق . لقد أراد الصهاينة أن يخلقوا قوة عسكرية جديدة في الوقت الذي يثور فيه الناس المخلصون والصادقون والمفكرون في أوروبا واميركا على جنون وفظاعة هذه الهوة التي يسير نحوها الان (١٩٠٦) المجتمع المتوحش المسمى بالمتمدن ... ان كل الناس العاقلين يكافحون ويناضلون ضد الدولة المغلقة في الوقت الذي تريد فيه الصهيونية أن تحيي مثل هذه الدولة المغلقة البالية والمهترئة وتسمي هذا الطموح الى السوراء تقدما ! » .

وبعد هذا ، يأتي دعاة الصهيونية يتشدقون